رؤية عربية

خواطر فى ثورة مايو .. من الساحة العربية

هناك خواطر تستوقف المرء ، كلما دارت دورة الايام .. خاصة اذا كانت ترتبط بتاريخ معاصر ، ولها معالم مشعة فى كل ما حدث او يحدث من متغيرات .. والخواطر التى استوقفتنى ، ولا شك انها استوقفت الكثيرين غيرى ، تستبد بى كلما ذكر يوم الخامس عشر من مايو الذى يجىء فى كل عام ، ولا يزال يعز الكثير من المعطيات .

بقلم
زكريا نيل

وليست هذه الخواطر بالنسبة لى شهادة تاريخ ، كما انها ليست من قبيل الذكريات التى تاتى عاما وراء عام ، ولكنها فى الحقيقة معين متدفق ، متجدد العطاء ، فثورة مايو التصحيحية ، ليست انقلابا ، وليست حركة ، كما انها ليست من قبيل الانتفاضات ، التى تاتى بحاكم فى اعقاب هاكم آخر ، ولكنها ثورة لها خصائص قد انفردت بها ، وتلك كانت ميزتها .

كانت ثورة تصحيح لكل القيم ، وكانت ثورة اصلاح لمجتمع كاد ان يضيع معالم اصالته تحت غبار الانحراف ، ومن ثم فانها متجددة التفاعل مع الجماهير .. وكل حركة اصلاح او ثورة تغيير ، فى اى شعب من الشعوب ، تخضع فى الحكم على قوتها ونقائها ، الى المؤشرات التى تعطيها عناصر التجدد والاستمرار ، وثورة مايو التصحيحية ، تنفرد بمؤشر اساسى فيها من بين تلك المؤشرات ، وهو التفاعل الجماهيرى بكل ما افرزته من نتائج وآثار .

الكثيرون يتحدثون عن ثورة ١٥ مايو التصحيحية ، وكل له رؤياه السياسية والاجتماعية والانسانية .. غير اننى من خلال زحمة الخواطر التى تجىء مع هذه الحركة الشعبية ، يستوقفنى امران .

الاول : ان هذه الحركة الثورية لم تتفجر فى ساحة كانت خالية امامها ، ولو انها حدثت وواقعنا فى فراغ من المخاطر والهموم ، لامكن القول بانها ثورة عابرة ، تنضم الى جانب مثيلاتها من ثورات الشعوب ، ولكنها تفجرت والساحة مليئة ومكتظة بالمخاطر والاهوال ، وتلك هى قضية الثورة التصحيحية وخصائصها المميزة ، وكانت ادواتها الغلابة الايمان والجراة المنقطعة النظير ، لنترك هذا التعميم لننتقل الى التخصيص

● كان التفكك فى الكيان العربى ، ينذر بكارثة اكثر هولا من كل ما قد تمطيه التوقعات .

● وكان التمزق فى الوجدان المصرى قد هز البناء الداخلى هزا عنيفا ، وكاد ان يسلمه الى هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ .

● وكانت هجمة الحروب النفسية ، التى تعالت علينا فيها اسرائيل والقوى الصهيونية والاستعمارية قد اوشكت على ان تجهز على ما تبقى من ثقة فى نفسية المصريين .

● وكان التحول الخطير فى الموقف السوفيتى من القيادة المصرية ، قد أوصلنا الى — جانب ما نحن فيه من متاعب وهموم — الى طريق اشبه بطريق مسدود ، وليس امامه من مخرج غير الاستسلام .

● وكانت مراكز القوى ، وما معها من قوى مضادة قد اتاحت لكل العوامل السابقة المناخ المناسب لنموها ، لتتمكن من الانفراد بالشعب المصرى ، فتصاعدت شراستها ومخططات تشكيكها ، وتلك تضغط على صدر الشعب بالظلامس وبالارهاب ، حتى فقد الامن النفسى عنصره الاساسى عند كل المواطنين .

● وكان طابع الحياة فى مصر قبل ثورة مايو التصحيحية ، يغلب عليه الميزانيات والاستخفاف حتى لو ادى ذلك بمراكز القوى الى مغامرة اخرى مدمرة تحت التهديد ، وتحت اسنة الرماح .

كان واقعنا واقعا مأسويا قاتم السواد ووصلنا لحن شعب مصر الى ما لا يمكن ان يكون . وصلنا الى مرحلة اللاشىء وانعدام الوزن والهيبة والكيان .

وفى هذه الساحة المليئة بالمصائب وبالالغام ، تفجرت ثورة التصحيح فى ١٥ مايو من عام ١٩٧١ وجاءت بمبادئها التى اطلقت حرية الانسان ، ورفعت عنه وصاية الادعياء ، فاوصدت ابواب المعتقلات برتاج من فولاذ ، واستردت كرامة القضاء ، وفتحت ابواب الحرية الى كل مواطن مهما كان ، يخرج حرا ويعود الى الوطن حرا ، وساد القانون وتحطمت دولة زوار الفجر ، وقامت دولة المؤسسات .

الامر الثانى : ان مصر كانت تتحرك فى الساحة العربية من فراغ ، لان عنصر الثقة كان مفقودا والثقة اذا غابت فى التعامل بين الاشقاء ، فالويل لاى قرار من قرارات المصير ، هكذا كان الواقع فى آخر مؤتمر قمة ، عقد تحت ظل هزيمة يونيو فى الرباط عام ١٩٦٩ .. لا اريد ان استبعد صورة هذا الواقع العربى المحزن المفكك الاوصال .

تعم .

كانت حملات الكراهية للشعب المصرى قد اخذت فى غزو الوجدان العربى ، وكان الانسان العربى ، فى حالة من الحيرة والقلق والانزعاج ، كان يرى ان مصر هى الامل رغم الهزيمة وان شعبها هو حسام أمته ، وان مزائم رجالها التى عرفت عبر الاجيال بانها لا تهتز لمعركة ولا تستسلم لهزيمة — كان يرى ان مصر قد وقعت فى قبضة ادعياء من الاوصياء ، وانه لا حاسم لشعب مصر غير معجزة من السماء .

ومن موقع قيادة ثورة التصحيح ، كان دور قائدها الثائر ، انطلق أنور السادات ، فى تجميع شتات الامة العربية كان دورا اساسيا ، لم يكن موضع انكار ، بل ان اجماع قادة الامة العربية — ملوكا ورؤساء — قد انعقد على ان الدور دوره ، واعلنوا ذلك ، وباخلاق الفرسان فى العديد من المناسبات .

ولقد يكون الرئيس السادات اول قائد سياسى وعسكرى ، يضرب اعلى الارقام القياسية طائرا فى الفضاء ، خلال شهور محدودات ، ينتقل من عاصمة الى عاصمة من دول الاشقاء ، وعلى الرغم من المعاناة ، وعلى الرغم من التعليقات وصل السادات مع الزعماء العرب الى جمع الارادة العربية على كلمة واحدة ، ولم تثق القيادة المصرية بالا الى ما كان يحدث من ازمات ، بل انها ما كانت تلتفت الى ما كان موجودا من مزايدات ومناقضات ، وبقوة قرار ثورة مايو ، كان قرار الحرب فى العاشر من رمضان ووجد الانسان العربى نفسه بعد ان ظل يفتش عنها العديد من الايام .